رسالة القاهرة

محاولة تهريب طرود مخطوطات أثرية

17 أيار (مايو)

نجحت الوحدة الأثرية التابعة لوزارة الآثار بكمرك الصادرات الجوية بقرية بضائع مطار القاهرة، بالتعاون مع وحدة الكمارك من ضبط 7 طرود بها ثلاثة كتب مخطوطة وعشر وثائق حكومية مخطوطة، وذلك أثناء محاولة تهريبها إلى إحدى البلاد العربية.

جاء ذلك على لسان حمدي همام رئيس الإدارة المركزية للمنافذ والوحدات الأثرية بالموانئ المصرية، الذي أوضح أنه فور إبلاغ الوحدة الأثرية تم تشكيل لجنة أثرية لمعاينة تلك الكتب والوثائق والتي أكدت أثريتها، وعلى الفور تمت مصادرتها لصالح وزارة الآثار طبقا لقانون حماية الآثار وتعديـــلاته.

من ناحيته قال على رمضان عيد مدير الوحدات الأثرية بقرية بضائع مطار القاهرة، إن الكتب المخطوطة، بها كتاب مخطوط من 277 ورقة بعنوان خلاصة الكلام في أمراء البيت الحرام لجامعة أحمد زين دحلان، وهو مسجل بالحبر الأسود والمداد الأحمر، ويحمل عدة تواريخ تبدأ من عام 948 وحتى عام 1299 أما الكتاب الثاني فيتكون من 20 ورقة بعنوان كتاب إتحاف الأنام وإسعاف الأفهام تم نسخه في 28 من جمادى الآخرة 1334 والكتاب الثالث يحمل صفة المخطوط ويتكون من 56 صفحة بعنوان رسالة في الأحبار وغيره تم نسخه في 1265 .

شقي زيقك ياعشتار .. لقد مات بطل الطوفان

جواد مطر الموسوي

واسط

تلقيت قبل قليل (الساعة الثانية عشر ظهرا) من يوم الأحـــــد (20 / 5 / 2018 م) خبر وفاة عالم الاثار والتاريخ القديم الأستاذ الدكتور فاضل عبدالواحد، بعد معاناة مع المرض استمر اكثر من ثماني عشرة سنة، واهمال واضح من الجهات الحكومية والعلمية والثقافية، ولاسيما بعد الاحتلال سنة 2003م، بعد ان صال وجال اكثر من أربعين سنة في الأوساط الثقافية، منقباً وحافراً في تاريخ بلاد الرافدين، وهو الذي كان يجيد اللغة الاكدية بطلاقة وقارئ جيد للألواح العراقية القديمة، وأفضل من بحث في حادثة الطوفان، خرج العديد من طلبة الماجستير والدكتوراه من العراقيين والعرب، الذين لهم مكانة مهمة اليوم في الاثار والتاريخ، منهم: عالم اللغات القديمة والاثار نائل حنون.

قامة سامقة

عرفته وانا طالب وهو أستاذ ذو قامة سامقة، وبعد تعيني في جامعة القادسية سنة 1991م، وأثناء إعداد أطروحتي للدكتوراه في كلية الآداب جامعة بغداد، اشتركت معه ربما في عام (1997م) في لجنة لكتابة تاريخ العراق من سقوط بابل 539ق م الى انتشار الإسلام سنة 622م، وكان يترأس اللجنة الدكتور نزار الحديثي عميد كلية الآداب وعضوية أسماء مهمة منهم: الدكتور واثق الصالحي والدكتور عبدالإله فاضل والدكتور منذر عبدالكريم البكر من جامعة البصرة ... وغيرهم، ووجدت جميع الحضور يكنون له الاحترام وكان يجلس الى الجانب الأيسر من رئيس اللجنة الدكتور الحديثي، وكان الجميع ينظرون اليه في حل الإشكاليات العلمية، وهذا يدل على علو كعبه العلمي، واثناء المداولات والمناقشات العلمية في اللجنة طرحت آراء واستنتاجات علمية مهمة جدا، لكنها مع شديد الأسف لم تر النور... !!! فالدكتور فاضل هو فاضل في كل شيء بأخلاقه وحسن تصرفه، يمتاز بالهدوء وعذوبة الكلام وكل ما تحمله الشخصية البصرية من طعم شط العرب وعادات أهل أبو الخصيب وطيبة أهل البصرة، كان حلو المعشر رقيق الروح، يتسم بأعصاب باردة، وسنحة جميلة مفرحة ووجه يحمل بين ملامحه الكثير من الهموم والاحزان الى جانب ابتسامة لم تكتمل بعد، لم يظهر منها سواء طرفها يجعلك في حيرة من امرك، كأنه تابلت سومري أغلقت عليك قراءة ملامح خطوط حروفه!!

الاستاذ الدكتور فاضل عبد الواحد من مواليد البصرة سنة 1935م، بكالوريوس من كلية الآداب –جامعة بغداد 1957م، ماجستير من جامعة بنسلفانيا بالولايات المتحدة الأميركية سنة 1960م كذلك الدكتوراه سنة 1964م تخصص السومريات، شغل عدة مسؤوليات منها رئاسته لقسم الاثار كلية الآداب –جامعة بغداد، ومن كتبه :"عشتار ومأساة تموز" و"الطوفان " و"عادات وتقاليد الشعوب القديمة" مشترك مع الدكتور عامر سليمان و"من الواح سومر الى التوراة" و"سومر فكر ومعتقدات" و"تاريخ العراق القديم" مشترك مع الدكتور طه باقر، ولديه اسهامات في مشاريع علمية كثيرة منها موسوعة "حضارة العراق" التي اصدرتها في الثمانينات وزارة الثقافة وكتاب "العراق في التاريخ"، وله اكتشافات علمية كثيرة من خلال بحوثه ودراساته عن تاريخ العراق القديم وتأثيره على الشعوب القديمة، ومنها اليهود ومقارنة ذلك مع الأساطير السومرية والبابلية وقدم شواهد حية على تأصيل التاريخ وعراقة وقدم حضارة بلاد الرافدين في العالم، له آراء واستنتاجات مهمة أهمها من حوار مع صفاء ذياب، جاء فيه:

منطقة معينة

–تكمن المشكلة السومرية: أن الاساتذة الباحثين من الاجانب لم يتفقوا على منطقة معينة جاء منها السومريون، ولكن، هم يتفقون على ان ظهور الحضارة السومرية في سومر جاءت من دون مقدمات، وتعد قفزة ليس لها ماض في العراق، وهي دلالة على ان السومريين جاؤوا من خارج العراق.

–لكنهم يعتقدون ان هناك فجوة حضارية بين الشمال والجنوب، ويفكرون في ان هذا الانقطاع هو الذي جاء خلاله السومريون من الخارج، ولم يكن هناك أي انقطاع، ولكن بدايات الحضارة كانت في الشمال، ونضجها كان في الجنوب، وليس هناك ما يسمى بفجوة حضارية.

–الزقورة بنيت بسبب الإشكال القائم، وهو عمق المياه الجوفية والفيضانات الكثيرة، وللتخلص من هذه المشكلة، ولاسيما وأنَ الزقورات أماكن عبادتهم، أي معابدهم، وهي منطقة مقدسة وينبغي أن ترفع أعلى من منسوب المياه، وإلا ضاعت كل هذه المقدسات في أيَ فيضان قادم، ولا ننسى أن بناء الزقورة كان من اللبن وهناك قشرة من الآجر، وهذه المواد عرضة للدمار.

–مع احترامي للأستاذ كمال الصليبي، لكن، وجّه نقدا كثيرا لكتابه (التوراة جاءت من جزيرة العرب). ومصادرنا السومرية والبابلية واضحة، اذ تذكر ان الطوفان حدث في جنوب العراق في مدينة شروباك في العراق، وابطاله شخصيات عراقية، سومرية كانت أم بابلية قديمة، فمثلاً (زيوسدرا) بطل الطوفان في القصة السومرية، اسمه سومري، ومعناه (صاحب الحياة الطويلة). للدلالة على حصوله على الخلود، و(أوتنا بشتم) بمعنى (وجد الحياة)، نابشتم بمعنى (النفس)، والنفس هي الحياة، وأتراخاسس، اسمه بابلي بمعنى (المتناهي في الحكمة)، (أترا) بمعنى (المتناهي)، و(خاسس) بمعنى (الحكمة) فهؤلاء كلهم يحملون أسماء سومرية وبابلية، والمدن التي حدث فيها الطوفان سومرية وبابلية، وليس لي شأن بقول الصليبي وفرضياته عن أسماء المدن، وهذه مسألة أخرى وبعيدة عن الواقع.

–في فترة العبيد، ومن خلال الطبقة الغرينية، أفترض أن هناك حضارة في الجنوب، في العبيد أو في غيرها، ثم جاء الطوفان فترك هذه الطبقة الغرينية، ثم بعد ذلك عادتَ الحياة مرة ثانية، بعد أن انحسرت مياه الطوفان.

–بدأت التقديرات عن متى حدث الطوفان؟ ان رواية الطوفان قد وردت في ملحمة كلكامش، وبدأت التساؤلات: لماذا وُضع هذا اللوح في الملحمة ووظفَ في ملَحمة كلكامش. ويعتقد أن السبب هو قرب الطوفان من كلكامش، أو قرب كلكامش من الطوفان، وان اللوح الحادي عشر ليس من أصل ملحمة كلكامش، لكننا نعرف ان الملحمة ككل تتكون من أربع قصص تدور كلها حول شخصية كلكامش، وظُفت بطريقة بارعة جداً ورائعة وأدخلت في جسد هذه الملحمة التي تبدأ في الوركاء، وتنتهي بعودة كلكامش إليها... فنحن نعرف هذه القصص وبنية الملحمة، وقصة الطَوفان وجدت لغاية، وهي إعطاء الملحمة بعداً اوسع.

–لا نستطيع ان نحمل الأدب الملحمي ما لا يتحمله، ونتسأل هنا: هل ذهب كلكامش الى غابة الأرز، او لم يذهب؟ نعم، هو ذهب في مخيلة هذا الأديب الذي كتب الملحمة.

–التوراة فيها أخبار تاريخية عن الطوفان وعن الملوك الآشوريين، قسم منها واقع تاريخي وقسم مجاف للحقيقة، وأنا أنصح كل شخصٍ يبحث في مسائل التاريخ من خلال التوراة أن لا يكون أحادي المبدأ.

طابع مسرحي

لدينا نصوص ذات طابع مسرحي، فمن خلال الزواج المقدس والمراثي وقصة الخليفة البابلية، التي هي ذات جذور سومرية، وهذه نصوص تعطي هذا الانطباع، ولكن هل هناك مسرح معين؟ هذا ما لا اعرفه.

–الجانب الفكري موجود كالفكرة مسرحية، وهناك من الدلائل ما يشير الى وجودها، ولدينا بعض الاشارات في قصة الخليفة البابلية (إينوما إيليش) بأن هذا الاحتفال كان يستمر أحد عشر يوماً وربما كان يمثل بعض فصولها، ولاسيما فصل انتصار مردوخ على تيامة إلهة الشر، وتتويج مجمع الآلهة له وإعطاؤه خمسين إسماً من أسمائها.

–سوء العلاقة في النهاية بين كلكامش وعشتار، تعكس انه لا يريد ان تكون عشتار حليلة له بعدما اتهمها أنها تنتقل بين عشاقها، وهذه مسألة ليست غريبة على طبع الرجلَ الشرقي، الذي يريد أن تكون زوجته وحبيبته خاصة به.

–ان تموز يمثل البداوة لأنه راعٍ، وانكي – أمدو فلاح، وهو يمثلَ المدنية، والحوار الذي جرى بينهما هو حوار بين البداوة والتحضر.

–إن تاريخنا متكامل تماماً، ولا يستطيع احد خلق فجوة للدخول من خلالها، إن تراث الرافدين متواصل ومتراص بطريقة تامة، وهو تاريخ يبدأ منذ بدء البشرية وحتى هذه اللحظة بتنامٍ واضح وتصاعدَ حضاري، هذا أمرٌ متفق عليه لدى جميع الباحثين، ولا توجد فترات مظلمة أو غير واضحة في هذا التاريخ.

□ استاذ دكتور

فاضل عبدالواحد

د. فاضل عبد الواحد علي

غلافا كتابي الراحل

حين يكون الجمرُ اخضر

حداد يقرأ إستقصائياً الأدب الشعبي العراقي

شكيب كاظم

وأنا اجوس خلل عباب هذا الفيض المنهمر من التقصي والبحث والتنقير والتدقيق، الذي أغدقه علينا الدكتور علي حداد في مجال التراث الشعبي، وكنت وأنا أقرأ فصول كتابه هذا أناجي نفسي ايجهد مضنٍ هذا الذي بذله واي إخلاص حباهُ الله به كلي يطلع علينا بكتابه الذي عنوّنه بـ (جمر أخضر.. قراءات في الأدب الشعبي العراقي) الصادرة طبعته الأولى سنة 2017وأمتد إلى أكثر من أربع مئة صفحة، لذا كان من حقه أن يفرح وأن يغتبط، وهو يرى بحثه أو مشروعه في دراسة التراث الشعبي العراقي، يتجسد حقيقة واقعة، ويدعه يأخذ مكانه اللائق بين القراء والباحثين في هذا اللون من ألوان البحث، والذي أخذ منه الكثير من الوقت والجهد والمراجعة.

بعد أن يقرأ الدكتور علي حداد، آراء الدارسين لما عرف بداية بـ (الفولكلور) إذ يطلق عليه بعض الدارسين اسم (التراث الشعبي) وينعته آخرون بـ (الموروث الشعبي) أو (الثقافة الشعبية) المصطلح الذي يميل إليه الباحث معللاً ذلك لا لأنه الأحدث بل لكونه الأدل والأكثر شمولية، من دون أن يغيب عن البال مصطلح (التراث الشعبي).

قصيدة المجرشة ما شانها؟

وإذا كان النص المكتوب والفصيح عانى تعدداً في الروايات، وهو ما نراه في الشعر غالباً، فإن النص الشعبي الشفاهي غير المدون كان – لاريب– عرضة إلى الكثير من الحذف والإضافة، لذا غالباً ما تطالعنا الروايات المتعدد لنص ما، فضلاً عن نسبته لأكثر من شخص، وها ناتج عن الذاكرة الإنسانية التي تنسى ومن ثم محاولة الترميم، ترميم النص بما ليس منه أصلا وقد ضرب هذا التأرجح في صحة الانتساب وقصيدة من أسيّر القصائد الشعبية لا بل ملحمة شعبية، تداولها الناس وشدا بها قراء المقام العراقي الأستاذ محمد الكبنجي، وقارئ المقام يوسف عمر إذ هناك من يؤكد ان قصيدة (المجرشة) الشهيرة التي جاءت على لسان امرأة عراقية لم يقف عندها الدارسون ولم يتوصلوا إلى حقيقة اسمها، فنظم على نولها الشاعر الشعبي المعروف الملا عبود الكرخي وقد قرأت ذلك بداية عقد التسعين من القرن العشرين، وهو ما يشير إليه الباحث علي حداد (فحين لا يقطع بنسبة متنها النصي الأول إلى شاعر بعينه يكون ذلك مدعاة إلى القول بتوافره على واحدة من السمات الأساس الدالة على شعبيته تلك هي (غياب اسم المؤلف ومجهوليته) ولعل ذلك مما أطلقها في محيط التداول الشفاهي الخصب، قبل أن يتصدى لها الملا عبود الكرخي، ويعيد إنتاجها بمهارته ونفسه الشعري الطويل، ولعله كان كذلك أول من وضع لها عنوانها). ص.244

لقد ضاع النص الشفاهي والمختلف في نسبته وظل النص المكتوب الذي نشره الكرخي تباعا في جريدته (الكرخ) سنة 1927 قبل ان يضمه ديوانه الصادر سنة 1933 وأرى أن الارتياب في نسبة القصيدة قد ساور العديد من الدراسين والباحثين، لكن خشيتهم من لسان الملا عبود الكرخي الباشط ، منعهم من الحديث بهذا الشأن، والأمر يشمل ما قوبل به صدور ديوانه هذا، وإذ كتب عنه وجوه البحث والكتابة والشعر ايامذاك مثل محمد بهجة الأثري، وفهمي المدرس ومعروف الرصافي وروفائيل بطي، وغيرهم، وما أظنّ ان ديوان شعر شعبي حظي بهذا الاهتمام كما حظي به ديوان الكرخي، ولو كان لغيره لما أهتم به أحد، وبالحري لما اهتموا به مثل هذا الاهتمام.

وإذ يقف الدكتور علي حداد، وهو يدرس التراث الشعبي العراقي في كتابه هذا على مدى نحو قرن من الزمان، مقسماً إياه إلى ثلاثة أقسام، يقف عند ما سماه مرحلة التأسيس والريادة، ليؤرخ فيه لكتابات الدارسين منذ العقد الأول من القرن العشرين، وحتى اقتراب أربعيناته من نهايتها، لعلاقة ذلك بوفاة الأب انستاس ماري الكرملي سنة 1947 وقد فتح صفحات مجلته الرائد (لغة العرب) لكتابات معروف الرصافي ورزوق عيسى ويوسف غنيمة ومصطفى جواد وطه باقر وغيرهم فإنه يتناول في المرحلة الثانية الذي اطلق عليها اسم مرحلة الترسيخ واستقصى فيها الدراسات التي أنجزت خلال عقود الخمسينات والستينات والسبعينات من القرن العشرين، سواء أكتبها باحثون أو أدباء من جيل المرحلة السابقة، أم من جاء بعدهم من كتاب جدد، فإنه يتناول بل يدرس جهود الأستاذ الباحث والمترجم الرصين كاظم سعد الدين وكذلك إنجازات الباحث الموسيقي حسين قدوري، في حقل معين هو الخاص بالطفل الذي أتحف المكتبة بكتابه الموسوعي (لعب وأغاني الأطفال الشعبية في الجمهورية العراقية) والذي صدر بثلاثة أجزاء.

موروث شفاهي

يرى الباحث الدكتور علي حداد، وهو المهتم بالتراث الشعبي، والذي أصدر أكثر من كتاب في هذا الباب ومنها كتابه (ديوان الطفل في الأدب الشعبي اليمني) الصادر في عدن سنة 2006 مشيراً إلى أن له عديد الكتب عن الحياة الثقافية اليمنية، وهي نتاج لعمله في جامعة صنعاء سنوات عدة والمؤسس لرابطة دراسات الثقافة الشعبية في اتحاد الأدباء والكتاب في العراق، يرى ضرورة تعهد هذا الموروث الشعبي الشفاهي بالعناية اللازمة من خلال استحداث أقسام في الجامعات العراقية لدراسة وتدوين هذه الثقافة الشعبية، التي ظلت الأكاديمية العراقية تدير لها ظهرها في حين اهتمت به عديد الدول العربية مثل: مصر والجزائر والسودان والسعودية ودولة الإمارات العربية وتحديداً إمارة الشارقة فأنشأت معهد التراث الشعبي.

لذا فإن الباحث الدكتور علي حداد يطمح– ومن حقه ان يطمح جزاءً وفاقاً لما بذل من جهد مضن ورائع في الآن ذاته– أن يكون كتابه هذا (جمر أخضر. قراءات في الأدب الشعبي العراقي) الذي أهداه إلى الأستاذ: كاظم سعد الدين، وباسم عبد الحميد حمودي، البقية الطيبة من أولئك النبلاء الذين استوقفهم هذا التراث الخصيب، يكون مادة في منهجية درس أكاديمي قد يتحقق ظهوره في أفق الثقافة العراقية، ولو بعد أكثر من حين ولأجل ذلك فقد كان التمسك بالآليات البحثية دابا متواتراً، لعله بدا ناصع الكشف عن نفسه في (آلية التهميش) المتبناة باستفاضة بينة وبدقة صارمة، حتى استحال(الهامش) بقصدية ندعيها متناً آخر وكان ذلك أمراً استوجبته الأمانة العلمية والمجادلة المعرفية التي (تحايث) المتن وتباصره بما لديها). تراجع ص .11

الحاشية إذ تكون متناً

وإذ كنا نقرأ حاشية المحقق المصري الفذ حسن السندوبي الذي –اغفله الدارسون–على المتن، متن كتاب (البيان والتبيين) لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ فتشدنا الحاشية ونطرب لها ونستفيد منها والأمر كذلك في حواشي المحقق محمد محيي الدين عبد الحميد، على عديد المظان، وفي الذاكرة حواشيه على شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك فنعجب من أمانة الرجل ودقته ونفيد علماً، فأني وأنا أقرأ بل أدرس هذا الكتاب الذي جادت به علينا المعية الأستاذ علي حداد ودقته ولغته الجميلة الراقية حتى لكأنك تقرأ شعراً كنت استمتع بقراءة الحاشية التي يسميها الدكتور علي حداد هوامش كما استمتع بقراءة المتن الذي جاء مصاقباً ومحايثاً وشارحاً للمتن المكتنز وكانت هذه الهوامش أو الحاشية حقاً متناً آخر وعساه يدون هذه الحواشي في صفحات المتن ذاته، في طبعة أخرى للكتاب فذلك ايسر على القارئ والباحث، وهو ما يفعله المحققون الأثبات.

فتح رصين

إن كتاب (جمر أخضر. قراءات في الأدب الشعبي العراقي) لمؤلفه الباحث الدكتور علي حداد فتح رصين في هذا اللون من الوان البحث استقصى فيه –وبدربة وتمكن– الثقافة الشعبية العراقية على مدى القرن العشرين، والعشر الأُوَل من القرن الحادي والعشرين واقفاً عند اساطينه فضلاً عن دراسة استقصائية عن شعر المرأة العراقية، اردفها بأخرى عن العلامة الشاخصة في الشعر الشعبي العراقي، إلا وهو الشاعر عريان السيد خلف، وقد أحسن الوصف إذا نعته بـ (اللقية الجديدة المصنوعة من ذهب أصيل) ليكون الختام مسكاً بـ (سالفة من سوالف) أي حكاية من حكايا قريتنا وهي حكاية واقعية بلهجة ريف أهل الكوت، رواها لنا الدكتور علي حداد مؤرخة لأجداده وذويه.

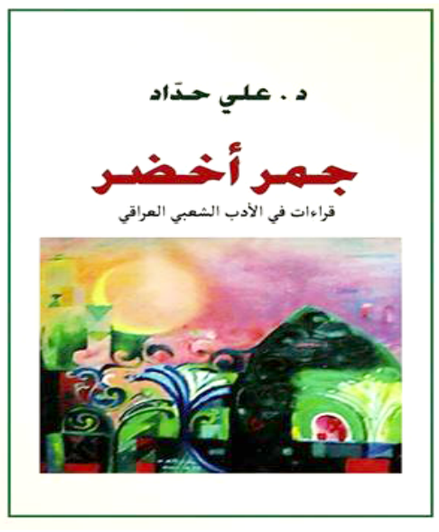

غلاف الكتاب